ساندرا خلاط عبدالنور
- رئيسة جمعية "بسمة"

لننشىء أجيالاً سليمة لبناء وطن سليم

كيف تبنى الأوطان؟ أمن خلال البنية التحتية؟ البنية الفوقية؟ التكنولوجيا؟ عبر المنتوجات الزراعية الصناعية النفطية وغيرها؟ عبر التجارة وتصدير منتوجاتنا المحلية؟ الخ... نعم من خلال كل هذه المكونات بالطبع. ولكن ما نفع كل هذه إن أهملنا العمود الأساس متمثلاً في الطاقة البشرية؟ مع من ولمن نبني كل هذا ان لم نكرس وقتنا وطاقاتنا ومالنا للاهتمام بالجيل الصاعد؟ ما هو مستوى شبابنا التعليمي الثقافي الانفتاحي على ثقافات أخرى اليوم؟

نعلم أن التعليم المدرسي دليل على مستوى نمو المجتمع وتنميته، ذلك ان تسرب التلامذة أو رسوبهم في بلد ما يشكّل تهديداً لنوعية حياة أفراده. فما جدوى التطرق الى مواضيع محورية ومفصلية مثل الحريات والديموقراطية في الحياة السياسية وتداول السلطة والتلوث البيئي والصحة العامة لشعب 17% من أبنائه لا يذهبون الى المدرسة ابتداءً من عمر 11 عاماً و33% يتركون المدرسة مباشرة بعد امتحانات "البروفيه"؟ ان الجهل المتراكم والمتفاقم يؤدي الى المزيد من الفقر والبؤس وما يرافقهما من ادمان الشباب على المخدرات، الكحول، الدعارة وجميع أنواع الانحرافات والعنف. والجهل هو أسوأ عدو لبناء الشعوب والأوطان، فتفشيه في المجتمعات مثل المرض الخبيث يفكك العائلات ويقسّم البلد بحسب الانتماءات السياسية والطائفية. والنتيجة قمع فكبت فحقد وكراهية، فالمزيد من الانقسامات والعنف والحروب. فهل من "أجندة" خفية واستراتيجية للقضاء على بلدنا لبنان، لا بالمدافع، ولكن بأسوأ سلاح وهو احباط المستوى التربوي؟

أم هي بكل بساطة نتيجة اهمال وهدر المال العام وعدم وجود الكفاءات لادارة الشأن التربوي؟ فماذا يفعل هؤلاء التلامذة مع معاناة المدارس الرسمية من شتى أنواع المشاكل مثل الانخفاض الملحوظ في كفاءات الأساتذة والنقص في عددهم، والفراغ في البرامج المنهجية غير المكتملة، وقلة التنظيم في بعض الادارات، وعدم توفر التجهيزات الملائمة وعدم وجود أخصائيين لمتابعة ومعالجة المشاكل الاجتماعية والنفسية لدى الاولاد والمراهقين؟ فالتلاميذ الذين يتخرجون من تلك المدارس، يظهرون مجهوداً شخصياً كبيراً. بالنسبة للتعليم الخاص ذي المستوى المعترف به عالمياً، والذي يخرّج أجيالاً من الشباب الذين يرفعون اسم لبنان عالياً أينما ذهبوا، تأتي القوانين الجديدة، فتضرب استقراره وتهدد مستقبل جيل وشعب بكامله. والثقافة... ماذا فعلوا بها؟

أصبحنا شعباً لا يقرأ، لا يهتمّ بالفن، ولا يتابع التقارير التثقيفية، وتختصر ثقافتنا على التركيز على المسلسلات التلفزيونية وقراءة الـ"سكوبات" الترفيهية، ومتابعة الصور على الـ"سوشيل ميديا"، ربما لعدم وجود خيار آخر في بلد تراجع فيه مستوى الاعلام بشكل عام، وتوفرت فيه المناسبات الفنية والثقافية بسعر باهظ فقط. وكيف يربى جيل على أسس الحريات، ان لم يقرأ ويطلع على تاريخ الحضارات كافة؟ ربما تكون أسس التعامل السليم هي فحوى العلم والثقافة. فهذه الأسس تقوم على تربية مدنية يستفيد منها الطالب ليتعلم الشفافية والصراحة واحترام أبسط القوانين مثل قوانين السير واحترام الانسان. فالوحشية بالتعاطي مع بعضنا البعض خلال السنين الأخيرة هي نتيجة هذا النقص في التربية المدنية. فلنعزز التعليم والثقافة والتربية المدنية عند الجيل الصاعد لنبني وطناً حضارياً سامياً شامخاً كالأرزة نعتز ونفتخر به جميعنا، وكما يقول مالكوم إكس: "التعليم جواز سفرنا للمستقبل لأن الغد ملك لأولئك الذين يعدّون له اليوم".